كتب إسلامية
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
القاهرة

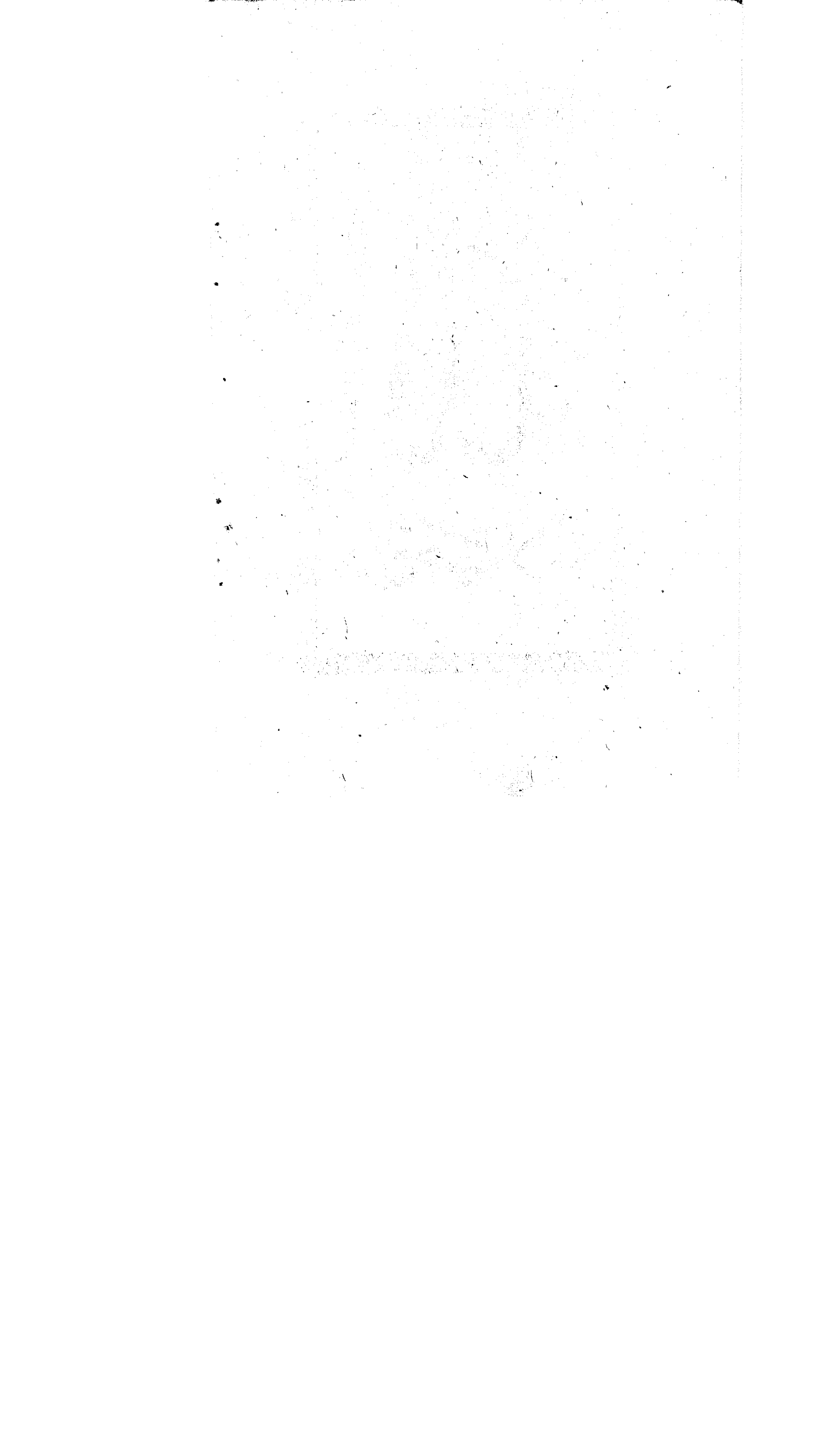
من وحي السماء

الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

العدد ١٦٠
السنة الرابعة عشرة
١٥ من رجب سنة ١٣٩٤ هـ
٤ من اغسطس سنة ١٩٧٤ م

يشرف على إصدارها
محمد توفيق عويضة


اللّٰهُ
جلّ جلالهٗ



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده .. »

صدق الله العظيم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بعثت بالحنيفية السمحاء » .

حديث شريف

تقديم

لا شك أن أنعم الله على عبـاده كثيرة لا يحيط بهـا حصر ولا يدركها عد •• فهى ظاهرة وباطنة يرتع فيها الخلق ، وينعمون بما فيها من خيرات جليلة وافرة ••

ومن هذه النعم الكثيرة التى لا تحصى تفضل الله على عباده بأن بعث فى العـالمين رسـولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضـلال مبين ، وأكرمهم بدين الاسلام الذى ارتضاه لهم هاديا ومرشدا وبالقرآن الكريم الذى جعله نبراسا ودستورا ينهلون منه ويتزودن بزاده الذى لا ينفد فى حياتهم ومعاشهم •

ومما لا ريب فيه أن هذا النبراس الهادى جاء ليقوم اعوجاج المجتمع وينظم علاقـات الأمم والخـلائق ويربط بين الأفراد والجماعات برباط الصـلاح والتقوى ليحيا الناس جميعا حيـاة سعيدة يسودها الأمن والرخـاء والتعارف والتعـاون فى شتى المجـالات ••

وما أجمل أن يعيش المسلمون فى رحـاب هذا الدين الحنيف يتفيئون ظلاله الوارفة ، فبهذا تبرأ أرواحهم من العلل والأسقام

ويقينى أن الفرائض التى فرضها الله على عباده دليل واضح على أن الاسلام يهتم اهتماما بينا بنظافة الانسان المسلم ظاهرا وباطنا ، حسيا ومعنويا حتى يتمكن من أداء الرسالة التى نيطت به وحتى يقوم بهـا خير قيام • فاذا لم تؤثر هذه النعم فى نفس المسلم ولم تزك نفسه وتطهرها وتحول بينه وبين تلك الشوائب التى تصبو اليها نفسه فلا خير فيه ولا قيمة لمـا يقوم به من أعمال وحسب المسلم أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى فرض عليه هذه الفرائض لمصلحته هو ولمـا يعالج حاله ويعود عليه بالنفع العميم والخير الوفير شـاملا لكل حياته الروحيـة والمـادية الفرديـة والاجتماعيـة •• ولا يغيب عن الذهن أن الأركـان الاسلامية كاملة وشاملة وصالحة لكل زمان ومكان •• فهى تؤكد للانسان فى وضوح أن ربها واحد وأنه مالك الملك وهو رب العرش العظيم •

ومن هنا ندرك الحكمة العظيمة من أركان الاسلام التى فرضها الله على كل مسلم حيث يقول سبحانه وتعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبـدون • ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين » •

والله أسأل أن يرشدنا الى الصـواب ويهدينـا الى الطريق السوى فهو نعم المولى ونعم النصير •

المؤلف

النظـــافة

النظافة فى الاسلام ، نصف الايمان ، بمفهوم حديث أبى مالك الأشـــعرى ، رضى الله عنـــه ، الذى يرويه عن رســـول الله ، صلى الله عليه وسلم :

« الطهور شطر الايمان »[1] ••

وفى رواية للترمذى . باسناد حسن :

« الطهور نصف الايمان » ••

واننا نجد أن أول ما ينزل على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من الأوامر ، قوله تعالى : « وثيابك فطهر »[2] ••

وفسر العلماء هذا النص على أساس :

أولا : وقاية الثياب من النجاسات الظاهرة ••

ثانيا : أو على أساس تقصير الثياب ، وجعلها قصيرة ، حتى لا تحتك بالأرض التى هى موضع النجاسات ••

---

(١) رواه مسلم باسناد صحيح .
(٢) سورة المدثر .

ثالثا : أو غسلها بالمـــاء من كل نجس ••

ولا مانع أبدا ، من أن يكون النص القرآنى « وثيابك فطهر » حاويا لكل هذه المعانى جميعا ••

فالاسلام قائم على النظافة فى كل شىء •••

فالذات نظيفة ، بالاغتسال ، والوضوء ••

والثياب نظيفة ، بتطهيرها من كل خبث ••

والمكان نظيف من القذارات التى قد يتعرض لهـــا ••

ومن حكمة الاسلام ، أن جعل هذه النظافات شرطا فى صحة الصلاة •• التى فرضها الله ، على كل مسلم عاقل •••

ومن هنا تصبح النظافة ملازمة للمسلم •[1]

والنظافة فى المفهوم اللغوى : النقاوة ••

ويقال : نظف الشىء : بضم الظاء ، حسن ••

والنظافة : التنزه ••

وفى الحديث : « ان الله تبارك وتعالى نظيف يحب النظافة »•

---

(١) الدين والحياة رقم ٧٤ .

قال ابن الأثير : «نظافة الله كناية عن تنزهه عن سمات الحدث، وتعاليه فى ذاته ، عن كل نقص » ..

وحبه النظافة من غيره ، كناية عن خلوص العقيدة ونفى الشرك ، ومجانبة الأهواء ..

ثم نظافة القلب ، عن الغل ، والحقد ، والحسد ...

ثم نظافة المطعم والملبس عن الحرام والشبه ..

ثم نظافة الظاهر بملابسة العبادات ..

ومنه الحديث : « نظفوا أفواهكم فانها طرق القرآن »

بمعنى : صونوها عن اللغو ، والفحش ، والغيبة ، والنميمة، والكذب ، وأمثالها ..

وعن أكل الحرام والقاذورات ، والحث على تطهيرها من النجاسات[1] ..

ومن المعلوم أن لفظ الطهارة ، هو المستعمل فى نصوص الشرع الاسلامى ..

وجاء على لسان أهل اللغة : الطهر — بالضم — نقيض النجاسة

والتطهر : التنزه والكف عن الاثم ..

ومن هنا كان : كل طاهر نظيف .. وليس كل نظيف طاهر ..

---

(١) لسان العرب لابن منظور .

ولعلنا ندرك من ذلك اهتمام الاسلام بالطهارة .. فهى تعنى النظافة .. وما هو أسمى من النظافة حسيا ومعنويا ، ظاهريا وباطنيـــا ..

ويقول الاستاذ « بتنام » : فى كتابه أصول الشرائع :

« ان كثرة الطهارة فى دين الاسلام ، مما تدعو معتنقيه ، الى رقى الأخلاق ، والفضيلة .. اذا قاموا باتبـــاع أوامره خير قيـــام »[1] .

ومن كان نظيف البدن ، والثوب ، كان أهلا لحضور كل اجتماع، وللقاء فضـــلاء النـــاس ، وشرفائهم ... ويتبع ذلك أنه يرى نفسه أهلا لكل كرامة يكرم بها الناس ، ومن دقق النظر فى طبائع النفوس ، وأخلاق البشر ، رأى — بين طهارة الظاهر والباطن ، أو طهارة الجسد واللباس ، وطهـــارة النفس ، وكرامتهـــا — ارتباطا وتلازما[2] ..

وقد استبان للمشتغلين بأصول التشريع ، وعلمـــاء الاجتماع من الأوربيين : أن أكثر الناس قذرا فى أجســـادهم ، وثيابهم ، أكثرهم ذنوبا .. وأطهرهم أبدانا أبعدهم من الذنوب[3] .

وعن أبى الأحوص ، عن أبيه ، قال : « أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى ثوب دون ..

---

(١) راجع تفسير المراغى الجزء ٢٦ ص ١٢٦ .
(٢) انظر تفسير المنار : الجزء ٦ ص ٣٦٢ .
(٣) تفسير المراغى .. الجزء التاسع والعشرون ص ١٢٦ .

فقال : ألك مال ؟
قال : نعم ..
قال : من أى المـال ؟
قال : أتانى الله من الابل ، والغنم ، والخيل ، والرقيق ..
قال : فاذا آتاك الله مالا ، فلير أثر نعمته عليك وكرامته »[1].

وعن عبد الله بن مسعود ، عن النبى صلى الله عليه وسـلم قال : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ...

فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسـنا ، ونعله حسـنا ..

قال : ان الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمط النـاس »[2] ..

والله سبحانه وتعـالى ، رفع درجات الطاهرين الى أسمى الدرجات .. وجعلهم يتمتعون بحبه حيث يقول :

« ان الله يحب التوابين . ويحب المتطهرين »[3] .

وأركان الاسلام الخمسة .. تتضافر كلها فى العمل على نظافة المسلم ، فى الظاهر والباطن ..

وهذا يدل على اهتمام الاسلام بالانسان ..

---

(١) انظر : سنن أبى داود .. الجزء الثانى . ص ٣٧٣ .
(٢) الترغيب والترهيب . والحديث رواه مسلم والترمذى .
(٣) سورة البقرة .

الأركان الخمسة في الإسلام

عن عبد الله بن عمر — رضى الله عنهما — قال: قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان »[1] .

فهذه الأركان الخمسة : تجمع بين النظافتين . فى نهج فريد ، وأسلوب واضح ..

فاذا اهتمت بنظافة الظاهر .. فما ذلك الا عنوانا صادقا ، على نظافة الباطن من الأدران الخفية ..

ومن هنا كانت العقيدة ، هى المنبع الذى يسرى فى كيان المؤمن ، ويجوس خلال نفسه ، ويتحكم فى وساوسه وحسه ، ويفيض على روحه الرضا والأمن ، وعلى نفسه السكينة والأمل. وتجعل له ارادة ثابتة على درب الحياة ..

والعبادة هى المظهر الايجابى لتلك العقيدة ، والتجسيد العملى لها ، والبرهان الصادق عليها ..

ولو أن العقيدة لم تثمر العبادة ، لكانت عقيدة عقيما ، لا دليل

(1) فتح البارى شرح صحيح البخارى : الجزء الأول ص ٥٥ .

عليها ، ولا أثر لهـــا .. كحبة مستقرة فى باطن التربة . لا تنبت .. ولا تزهر .. ولا تثمر .. ما قيمتها ؟ .. وما أثرهـــا ؟

كذلك العقيدة من غير عبـــادة .. تظل مجرد نظرية .. حتى تترجمها العبارة ، وتحولها الى عمل نابض ، وجهـــاد صادق فى الحياة ، ثم تستمد منها غذاءها وضياءها .. فلا تذبل ، أو تذوى . .أو تضمحل ..

وانما تظل بفضل العقيدة متقدة الشعلة ، متألقة الضياء .

وهكذا نرى العقيدة ، تمد العبادة بالقوة والفاعلية ..

كأنما هى الزيت المقدس .. الذى لا يجف ولا ينفد ..

وهكذا تعكس العقيدة وجودها على العبادة قوة أو ضعفا .. وتكون لها حافزا ايجابيا ، يضمن استمرارها ، ويحرسها من كل غش وخداع .. حتى تؤدى خالصة لوجه الله .[1]

وأركان الاسلام الخمسة : تجديد لأسلوب الحياة .. وهى تدفع المسلم على درب الحياة ، مسدد الخطا ، مرتفعـــا ببصره الى الملأ الأعلى ..

والركن الأول من أركان الاسلام هو :

« شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله » .

---

(١) انظر هكذا نصوم، للاستاذ توفيق سبع ص ١٦/١٧ .. طبع مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

وهذا الركن ينظر اليه الاسلام ، باعتباره عقيدة التوحيد على أنه تطهير ، وتنظيف لقلب المؤمن وباطنه ، من معانى الرجس والاشراك ..

ولذلك أطلق القرآن الكريم ، على من فقد عقيدة التوحيـــد « وصف النجاسة » .

قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا انمـــا المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا** »[1] .

وفى شهادة (أن لا اله الا الله) . معنى لطيفا : اذ الشهادة لا تنفع قائلها الا اذا كانت صادرة عن :

علم .. ويقين .. وصدق .. واخلاص .. ومحبة .. وانقياد .. وقبول .. وعمل ..

وفى شهادة : أن لا اله الا الله . نفى العبادة عما سوى الله .. واثباتها لله بحق ..

ولابد فى الشهادة .. من النطق والاعتقاد ظاهرا وباطنا .. والله : هو الاسم المفرد ..

وهو الاسم الطلسم الذى يشتمل فى داخله ، على جميع الأسماء والصفات والأفعال ..

---

(١) سورة التوبة .

جامع الكمالات ..

وكامل الأوصاف ..

وهو الاسم العلم على الذات الالهية المسربلة بالغيب..

جميع الأسماء تنسب اليه .. فيقال انها أسماء الله ..

ولا تصح الالشهادة الا به فنقول : « لا اله الا الله »[1] .

وهذه الشهادة : لا اله الا الله .. تدفع بالمؤمن الى الطهارة القلبية .. حتى يكون بعيدا عما سوى الله ، قال تعالى : **« قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »**[2] .

وهذا يمحو جميع أرجاس ، وأنجاس ، وأوضار الجاهلية ، وما كان يفعله المشركون من عادات ، وعبادات .. تخالف أوامر الله ..

فأقوال المرء وأفعاله الظاهرة والباطنة .. لا يجوز صرف شيء منها لغير الله .. فمن صرف شيئا منها لغير الله فقد أشرك.

ومن هذا المنطلق .. كانت العقيدة الاسلامية .. تملأ القلب يقينا وأمنا ..

---

(١) انظر الله للدكتور مصطفى محمود ص ٣٩ ط دار العودة بيروت .

(٢) سورة الأنعام .

وكانت سياجا من المخاوف التى تعترض الانسان ...

والايمان الصادق بالعقيدة .. يحمل المسلم على الشجاعة القولية والفعلية .. والنظافة الظاهرية والباطنية .. الحسية والمعنــوية ...

وحسب الانسان ، للدخول فى عتبة الاسلام ، أن يبــدأ بالنظافة .. وفى سيرة ابن هشام :

أن أسيد بن حضير .. قال لأسعد بن زرارة ، ومصعب بن عمير : كيف تصنعون اذا أردتم أن تدخلوا فى هذا الدين ؟

قالا له : تغتسل فتطهر .. وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى .. فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين[1] .

هذا من ناحية من أراد الدخول فى العقيدة الاسلامية . ومن الناحيــة المقابلة .. فان عقيــدة الاسلام ، تمنــع وصف النجاسة عن المؤمن ، بنص حديث رسول الله . صــلى الله عليه وسلم .

فقد روى البخارى عن أبى هريرة — رضى الله عنه — أن النبى — صلى الله عليه وسلم — لقيه فى بعض طرق المدينة وأبو هريرة جنب .

---

(1) سيرة ابن هشام . الجزء الثانى . ص ٢٩٧ .

قال : فانخنست منه ، فذهبت فاغتسلت ، ثم جئت .. فقال : أين كنت يا أبا هريرة ؟

قال : كنت جنبا فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة ..

قال : سبحان الله .. ان المؤمن لا ينجس[1] .

والركن الثانى : من أركان الاسلام :

« اقام الصلاة » ..

وعلاقة هـذا الركن بالجمع بين النظافتين : الظـاهرة ، والباطنة ، أوثق علاقة ، فالصلاة نفسها نظافة باطنة ..

قال تعالى : **« ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر »**[2] .

ومن المعتاد أن يبدأ المسلم عمله اليومى بالصلاة .. ولهذا أوجب عليه الاسلام الاستعداد للصلاة بالنظافة ..

ومن هنا كان الوضوء فى اللغة : الحسن والنظافة ..

وفى الاصطلاح الشرعى : استعمال الماء الطهور فى أعضاء مخصوصة بالطريقة التى شرعها الله .. والكيفية التى أرادها الشرع ..

فالطهارة والنظافة شرط لصحة الصلاة .. ذلك أن الوقوف أمام الله — سبحانه وتعالى — يتطلب أن ينظف الانســان

---

(١) المحلى لابن حزم . الجزء الأول . ص ١٢٩ .
(٢) سورة العنكبوت .

جسمه ، ويخلص نفسه من أوزارها ، وهمومها ، حتى يقف المسلم نظيف الجسم ، صافى الذهن ، نقى النفس .. طاهر القلب ..

قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين** »[1] ..

والغسل — بفتح الغين — اسالة الماء على الشىء ..

والغرض منه ازالة ما على الشىء من وسخ وغيره مما يراد تنظيفه منه ..

وقال تعالى عقب الآية المذكورة : « **ولكن يريد ليطهركم** » أى ما يريد الله ليجعل عليكم فيما شرعه لكم فى هذه الآية .. ولا فى غيره أيضا — حرجا ما ..

ويريد أن يطهركم من القذر ، والأذى ، ومن الرذائل والمنكرات ، والعقائد الفاسدة .. فتكونوا أنظف الناس أبدانا ، وأزكاهم نفوسا ، وأصحهم أجساما ، وأرقاهم أرواحا[2] .

والصلاة تتكرر فى اليوم الواحد ، خمس مرات ، وفى الغالب يغسل الانسان الأعضاء خمس مرات ، فى اليوم والليلة ..

---

(١) سورة المائدة :
(٢) تفسير المنار . جـ ٦ ص ٢٢١ ، ٢٥٩ .

لأن الوضوء شرط فى صحة الصلاة ..

وقد شبه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الصلاة بالنهر ، الذى يغتسل فيه المؤمن ، كل يوم خمس مرات .. فينظفه هذا الاغتسال من الخطايا والذنوب ..

فقد روى البخارى ومسلم وغيرهما ، عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : « **سمعت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يقول : أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات .. هل يبقى من درنه شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء .**

قال : وكذلك الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا»[1] .

فهذا الحديث ، يرشد الى ما فى أداء الصلوات الخمس من فضل ومحو للذنوب والخطايا ...

ويبين أيضا : الحكمة التى أرادها الله ، فى توزيع هذه الصلوات على أوقات متفرقة من الليل والنهار ..

وذلك ليكون الانسان دائما مع الله ، يتطهر من وقت لآخر ، حتى لا تتراكم عليه الذنوب ، كما تتراكم الأقذار على البدن فتؤذيه ..

---

(1) الترغيب والترهيب . الجزء الأول . ص ٢٣٣ والتاج جـ ١ ص ١٣٥ . والحديث رواه الخمسة الا ابا داود .

فالانسان كما يتلوث جسمه وثوبه بالقذر المحسوس ..
كذلك يتلوث ويتدنس بالآثام والذنوب ..

وكما تزيل المياه القذر المحسوس .. استعدادا للصلاة ..

كذلك تزيل الصلوات الخمس ، الذنوب والخطايا ..

ليكون المسلم نظيفا فى الظاهر ، وفى الباطن ..

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « **ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟**

قالوا : بلى يا رسول الله ..

قال : اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا الى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط ، فذلكم الربـاط »[1] .

وعن سلمان الفارسى ، قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « **لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من الطهور ، ويدهن من دهنه ، ويمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلى ما كتب له ، ثم ينصت اذا تكلم الامام ، الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى** »[2] .

---

(١) انظر : رياض الصالحين .. ص ٤٢٠ والحديث رواه مسلم .
(٢) انظر : الترغيب والترهيب .. الجزء الثانى .. ص ٧ . والحديث رواه البخارى والنسائى .

وتبدو هذه النظافة الباطنية ، فى الصلاة متكاملة مع النظافة الظاهرية ، حين يشترط الاسلام للدخول فى الصلاة : الطهارة بالوضوء أو الاغتسال ..

قال تعالى : « **يأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برءوسكم وأرجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا** »[1] .

وهناك من الأحاديث ما تندمج فيها الطهارة الظاهرية مع الباطنية ، بشكل لافت للنظر ..

أخبر حمران مولى عثمان .. أنه رأى عثمان بن عفان دعا باناء ، فأفرغ على كفيه ثلاث مرار فغسلها ، ثم أدخل يمينه فى الاناء ، فمضمض ، واستنشق ، ثم غسل وجهه ثلاثا ، ويديه الى المرفقين ثلاث مرار ، ثم مسح برأسه ، ثم غسل رجليه ثلاث مرار الى الكعبين ، ثم قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

« **من توضأ نحو وضوئى هذا ، ثم صلى ركعتين ، لا يحدث فيهما نفسه ، غفر له ما تقدم من ذنبه** »[2] .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « **اذا توضأ المسلم فتمضمض خرجت**

---

(١) سورة المائدة ..
(٢) انظر : زاد المسلم .. الجزء الثالث .. ص ١٣٣ والحديث متفق عليه واللفظ للبخارى فى كتاب الوضوء ..

الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه ، فاذا غسل وجهه ، خرجت الخطايا من وجهه ، حتى تخرج من تحت أشفار عينيه ، فاذا غسل يديه ، خرجت الخطايا من يديه ، حتى تخرج من تحت أظافره ، فاذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه ، حتى تخرج من تحت أذنيه ، واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه ، حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ، ثم كان مشيه الى المسجد وصلاته نافلة له »[1] ..

ومن هذا الحديث الشريف ، الذى رواه مالك ، والنسائى ، وابن ماجه ، والحاكم .. نرى أنه نسق بين النظافتين ، فجعل مع كل خطوة من خطوات النظافة الظاهرية ، نظافة باطنية من الخطايا ، والآثام ، والذنوب ...

ونظرة بسيطة تفيد أن الوجه ، واليدين ، والقدمين ، هى الأعضاء المكشوفة فى الغالب ، والمعرضة للأجواء ... ولهذا كان غسلها قبل الصلاة ، لازما ومهما ، لبقاء المسلم نظيفا ...

وعن سلمان الفارسى — رضى الله عنه — أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : **« بركة الطعام : الوضوء قبله ، والوضوء بعده »**[2] ..

ومن أصحاب الرسول — صلى الله عليه وسلم — من قال :

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذرى . الجزء الأول ص ٦٩ .

(٢) فيض القدير . شرح الجامع الصغير . الجزء الثالث ص ٢٠٠ . والحديث رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذى .

بأن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يتوضأ قبل الطعام ، وضوءه للصـــلاة ..

وذكر بعض العلماء : أن المراد بالوضوء هنا غسل الفم واليـــدين ..

ومن المعلوم طبيا أن « البكتريا » تكثر داخل الفم ، وحول الأسنان ، فتتخلل وتتعفن فضلات الطعام على الأسنان ، فان لم يسن تنظيفها وتخليلها .. فانها تصيب اللثة والأسنان بعديد من الأمراض .. وذلك نتيجة حتمية ، لضعف اللثة ، وتقيحها ، وتسوس الأسنان ، وغير ذلك .. فاذا ما تسربت هذه البكتريا والافرازات مع الطعام ، الى المعـــدة ، أضرت بالجسد ، ضررا بليغا . فكم من مرض كان سببه الاهمال فى نظافة اللثة ، أو الأسنان ..

ولذلك اهتم الاســـلام بنظافة الفـــم والأســـنان ، فأمر بالمضمضة ، والاستنشاق ، عند كل وضوء[1] .

فعن عمـــرو بن عنبسة السلمى .. قلت : يا نبى الله ، فالوضوء حدثنى عنه ، قال : **« ما منكم رجل يقرب وضوءه فيمضمض ويستنشق ، فيستنثر ، الا خرت خطايا وجهه من فيـــه »**[2] .

---

(١) انظر : الدين والحياة رقم ٧٤ نشرة دينية تصـــدرها وزارة الأوقاف .

(٢) الترغيب والترهيب . الجزء الأول ص ١١٨ والحديث رواه مســـــلم .

قال أبو بشر الدولانى ، **فيمـا جمعه من حديث الثـورى** بسنده ، عن عاصم بن لقيط ، عن أبيه ، عن النبى ــ صلى الله عليه وســلم ــ قال : «اذا توضأت فأبلغ فى المضمضـــة والاستنشاق الا أن تكون صائما »[1] .

قال أبو الحسين بن القطان : وهذا صحيح ** فهذا أمر صحيح ، صريح ، وانضم اليه مواظبة النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فثبت ذلك عن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ قولا وفعلا مع المواظبة على الفعل[2] **

ولم يكتف الرسول الأمين محمد ــ عليه الصلاة والسلام ــ بالأمر بالمبالغة فى المضمضة والاستنشاق ** بل نبه الى أهمية التخلص من بقايا الطعام بين الأسنان **

فعن أبى أيوب ــ رضى الله عنه ــ قال :

خرج علينا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فقال :

**حبذا المتخللون من أمتى **

قال أبو أيوب : وما المتخللون يا رسول الله ؟

**قال : المتخللون فى الوضوء ، والمتخللون من الطعام **

**أما تخليل الوضوء ، فالمضمضة والاستنشاق وبين الأصابع وأما تخليل الطعام فمن الطعام **

---

(١) انظر : نيل الاطار . الجزء الأول ص ١٤١ .
(٢) المصـــــدر نفســـــه .

انه ليس شيء أشد على الملكين ، من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلى »[1] .

وعن عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : **« تخللوا فانه نظافة ، والنظافة تدعو الى الايمان ، والايمان مع صاحبه فى الجنة »[2].**

فالرســول الأمين — صلوات الله وســلامه عليه — يدعو المسلمين فى هذا الحديث الشريف ، الى تخليل الأسنان عقب كل طعام ، وذلك باخراج فضلات الطعام ، التى تدخل بين الأسنان ، بشيء مثل أعواد الخلال ، ونحوها ..

فما يخرج من ذلك يجب لفظه ، لما عسى أن يكون قد اختلط به من بقايا طعــام ســابقة ، متعفنة ، أو ملوثة بجراثيم .. وهكذا تبدو النظافة متكاملة فى ركن من أركان الاســلام ، وكأن فرائض الاسلام ، حرصت فى شــدة ، على أن يكون المسلم ، نظيفا فى الظاهر والباطن ، حسيا ومعنويا ، ليتمكن من أداء الرسالة التى نيطت به ..

والعبادات فى مجموعها روافد طهر ، من كل دنس وخطيئة ، تعصم المسلم من الآثام والذنوب ..

ولا قيمة فى الاسلام لعبادة لا تزكى صاحبها ، ولا تطهر نفسه ، ولا تحول بينه وبين الانحراف ..

---

(1) الترغيب والترهيب . الجزء الأول ص ١٣٢ . والحديث رواه احمد والطبرانى فى الكبير .
(2) فيض القدير . جـ ٣ ص ١٣٢ . والحديث رواه الطبرانى .

وقد ربط الاسلام بين كل عبادة ، وهدفها الأخلاقى ربطا وثيقـا ..

فقال تعالى فى الصلاة : « **وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** »[1] .

والركن الثالث من أركان الاسلام :

« ايتاء الزكاة » ..

والزكاة نفسها ، طهارة مادية وباطنية .. فهى تغسل المال وتطهره ..

وفى نفس الوقت .. تغسل نفس المزكى .. من الشح .. والبخل .. والشر ..

كما تغسل نفس الفقير من الحقد ، والحرمان ، والبغض ..

قال تعالى : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بهـا وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم** »[2] .

ان فريضة الزكاة فى الاسلام ، تكافح السلبية والفردية فى حياة المسلم .. فتجعل منه انسانا اجتماعيا ، يحس بحركة المجتمـع ، وآلام الآخرين .. من اخوانه المسـلمين الذين يعيشون معـه ..

وفوق هذا ، فالزكاة تحقق لونا من التوازن فى المجتمـع الاسلامى ، يحس فيه الفقير بلذة الرحمة ..

---

(١) سورة العنكبوت .
(٢) سورة التوبة .

وعن أبى بكر — رضى الله عنه — عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « **ما تصدق أحد بصدقة من طيب — ولا يقبل الله الا الطيب — الا أخذها الرحمن بيمينه ، وان كانت تمرة ، فتربوا فى كف الرحمن ، حتى تكون أعظم من الجبل كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله** »[1] .

وعن أنس — رضى الله عنه — قال : أتى رجل من تميم الى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : يا رسول الله ، انى ذو مال كثير ، وذو أهل وحاضرة ...

فأخبرنى كيف أصنع ، وكيف أنفق ؟

فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « **تخرج الزكاة من مالك ، فانهـا طهرة تطهرك ، وتصـل أقرباءك ، وتعرف المسكين ، والجار ، والسائل** »[2] .

وعن جابر — رضى الله عنه — قال : قال رجل : يا رسول الله ، أرأيت ان أدى الرجل زكاة ماله ؟

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، : « **من أدى زكاة ماله فقد ذهب عنه شره** »[3] .

---

(1) التاج . الجزء الثانى ص ٤ والحديث رواه الخمسة .
(2) الترغيب : جـ ٢ ص ٣٦ . . والفتح الربانى جـ ٨ ص ١٧٨ والحديث رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .
(3) الترغيب : جـ ٢ ص ٣٩ والحديث رواه الطبرانى فى الأوسط وابن خزيمة والحاكم .

وعن عمرو بن عوف — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : « **ان صدقة المسلم تزيد فى العمر ، وتمنع ميتة السوء ، ويذهب الله بها الكبر والفخر** »[1] .

وعن أنس بن مالك — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « **ان الصدقة لتطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء** »[2] .

وهكذا تبين لنا أحاديث الرسول — عليه الصلاة والسلام — أهداف الزكاة فى الاسلام ..

والتى منها : تنقية النفس من الشح القاتل .. والحرص البالغ .. والأثرة العمياء ..

كما أن الزكاة تنمى عناصر الخير فى الانسان .. وتربى فيه الفضائل النبيلة .. والأخلاق السامية ..

ومن هذا ندرك قوله تعالى : « **قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ، والذين هم للزكاة فاعلون** »[3] .

---

(١) الترغيب : جـ ٢ ص ١١٤ والحديث رواه الطبرانى عن طريق كثير بن عبد الله .

(٢) الترغيب : جـ ٢ ص ١٣٥ والحديث رواه الترمذى وابن حبان فى صحيحه .

(٣) سورة المؤمنون :

وأيضا ندرك قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : **« الزكاة قنطرة الاسلام »**[1] .

فالزكاة طهارة ونظافة .. تسمو بالمسلم كلما غفا ، أو كبا ، أو أسرف على نفسه .. أو استغرق فى شئون الحيـــاة .. أو أخلد الى الأرض واتبع هواه ..

وهى بجانب هذا .. تحفظ التوازن الاجتماعى بالتقريب بين طبقات المجتمع الاسلامى ..

كما أنها تقوى روح التضامن والتوادد بين المؤمنين ..

وتزيد من روابط الأخوة بين المسلمين ..

ومن وراء كل هذا .. تمنع أعين المساكين من التطلع بحقد الى أموال الأغنياء ...

ومن كل هذا ندرك حكمة فرضية الزكاة فى الاسلام .

---

(١) الترغيب والترهيب . الجزء الثانى ص ٣٧ والحديث عن أبى الدرداء . ورواه الطبرانى فى الأوسط والكبير .

والركن الرابع من أركان الاسلام :

« الحج » :

والنظرة العامة لهذا الركن .. تجعل المؤمن يلاحظ أنه يبدأ وينتهى ، فى جو من النظافة المؤكدة ، المحسوسة ، الظاهرة . بينما هو فى حد ذاته : تجرد تام للنظافة الباطنية ..

قال تعالى : « **ولكل أمة جعلنا منسكا ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فالهكم اله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين** »[1] .

وقال تعالى : « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير »[2] ..

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، « **فمن حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه** »[3] .

---

(١) سورة الحج .
(٢) سورة الحج .
(٣) الترغيب . الجزء الثالث . ص ٢٨٦ .

وعن عبد الله بن مسعود — رضى الله عنه — عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « **تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة** »[1] .

فقبل الاحرام بالحج ، تشرع النظافة التامة ، التى تشمل تقليم الأظافر ، وقص الشارب ، وازالة شعر الأبط ، والعانة . وتشرع بعد ازالة هذه الشوائب ، نظافة تامة بالاغتسال ، ثم يشرع التطيب ، وترجيل اللحية ، والرأس[2] .

قال ابن عمر — رضى الله عنهما : « من السنة أن يغتسل اذا أراد الاحرام ، واذا أراد دخول مكة »[3] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « **أن النفساء والحائض تغتسل وتحرم وتقضى المناسك كلها ، غير انها لا تطوف بالبيت حتى تطهر** »[4]

ولا يخفى أن اغتسال الحائض والنفساء .. انما يدل على أن المقصود الأساسى ، لهذا الاغتسال بالنسبة لهما هو النظافة ، اذ أنهما ما زالتا على الحيض والنفاس . بل ويلاحظ : أن

---

(١) الترغيب . الجزء الثالث ص ٢٨٨ .
(٢) انظر : نشرة الدين والحياة رقم ٥٧ ص ٧ ، الأوقاف .
(٣) انظر : سبل السلام . جـ ٢ ص ٢٦٧ والحديث رواه البزار والدارقطنى والحاكم وصححه .
(٤) أنظر : الفتح الربانى . الجزء ١٢ ص ١١ والحديث رواه احمد وابو داود .

المبالغة فى النظافة قبل الاحرام ، دفع المحرم الى التجمل ، والادهان ، والتطيب .. اقتداء بالمشرع المربى ، محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ..

فقد قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما : « انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، بعد ما ترجل ، وادهن ، ولبس ازاره ، ورداءه ، هو وأصحابه »[1] .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : **« كأنى أنظر الى وبيض الطيب ، فى مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محـــرم »**[2] .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت : « كنا نخرج مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى مكة ، فننضح جباهنا بالمسك عند الاحرام ، فاذا عرقت احدانا سال على وجهها ، فيراه النبى صلى الله عليه وسلم فلا ينهانا »[3] .

ومن الواضح أمام المفكر : أن التطيب درجة فوق النظافة وهو يتنافى ويتعارض كلية مع الاهمال فيها ..

اذ ليس من المستساغ ، أو المـــألوف .. أن يتطيب الناس على قذى أو قذارة ..

---

(١) فقه السنة للشيخ سيد سابق جـ ٥ ص ٧٦ .

(٢) الفتح الربانى : الجـــزء ١١ ص ١٢٤ . وبيض الطيب : بريقـــه ولمعـــانه .

(٣) سبل السلام : الجزء الثانى : ص ٢٧٠ .

وبهذا يكون المسلم فى بداية احرامه .. قد تهيأ لأداء الحج فى جو من النظافة تام وكامل .

فاذا تهيأ من يريد الحج للحج ، بهذا الحظ الواسع من النظافة الظاهرية .. والتجمل الواضح .. أخذ فرصته للتفرغ والاهتمام بالنظافة الباطنية .. والتجرد من كل دواعى الارتباط بالدنيا[1] .

قال تعالى : « **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب** »[2] .

وقال تعالى : « **لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم** »[3] .

وعن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « **من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه** »[4] .

وعن ابن مسعود أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال : « **تابعوا بين الحج والعمرة ، فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة** »[5] .

---

(١) الدين والحياة ص ٩٢٨ عدد رقم ٧٥ ب .
(٢) سورة البقرة . آية رقم ١٩٧ .
(٣) سورة الحج . آية رقم ٣٧ .
(٤) الترغيب . ج ٢ ص ١٦٣ . والحديث رواه البخارى ومسلم .
(٥) الفتح الربانى . ج ١١ ص ٩ . والحديث رواه الترمذى وابو داود .

ومن تمام التلاحم بين هذه النظافة فى الباطن •• وبين النظافة الظاهرية •• أن ملامح الاهتمام بالنظافة الظاهرية تظل بارزة • فى صميم فترة التجرد لشعائر الحج ••

قال تعالى : « **ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك** »[1] •

ويتجلى ارتباط نظافة الظاهر بالباطن ، فى قلب المسجد الحرام ، وحول الكعبة فى جعل الله سبحانه وتعالى ، بئر « زمزم » عيناً مباركة ، فى قلب الحرم •• يأخذ الحجيج من مائها •• فينظفون باطنهم بالمغفرة •• وظاهرهم بالماء المبارك ثم اذا ما انتهى الحاج من شعائره ••• كان أول ما يفعل هو العودة المشوقة الى النظافة ••

قال تعالى : « ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ، وليطوفوا بالبيت العتيق »[2] •

وعن عائشة — رضى الله عنها — أنها قالت : « **كنت أطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يحرم ولحله قبل أن يطوف بالبيت** »[3] •

---

(١) سورة البقرة •
(٢) سورة الحج
(٣) سبل السلام للصنعانى جـ ٢ ص ٢٦٩ •

فكما كانت النظافة موضع العناية والاهتمام ، فى بداية الاحرام ... كانت كذلك فى نهايته ..

قال تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون »[1] .

وروى البخارى ومسلم ، أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« اللهم أغفر للمحلقين ..

قالوا يا رسول الله : وللمقصرين ؟

قال : اللهم اغفر للمحلقين ..

قالوا يا رسول الله : وللمقصرين ؟

قال : اللهم اغفر للمحلقين ..

قالوا يا رسول الله : وللمقصرين ؟

قال : وللمقصرين »[2] .

---

(1) سورة الفتح .
(2) الترغيب . جـ ٢ ص ٢٠٨ .

ولا يخفى على أحد •• أن الحلق أبلغ فى النظافة ، وألصق بها من التقصير ••

وقد بلغ من شدة الحرص على الحلق أو التقصير عند التحلل، أن اعتبره بعض الفقهاء كالشافعية •• ركنا من أركان الحج نفسها •• واعتبره الجمهور واجبا يلزم من تركه دم ••

وقال الفقهاء : باستحباب تقليم الأظافر ، أخذا من عمل الرسول صلى الله عليه وسلم[1] •

قال ابن المنذر : « ثبت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — لما حلق رأسه قلم أظافره »[2] •

وفوق هذا •• فشعائر الحج ، فى وحدة أشكالها ، ومظاهرها ، واجتماع المسلمين فيها •• والتقاء أبناء الأمة الاسلامية فى مناسك الحج ••

يطوفون فى اتجاه واحد ، حول بيت واحد ••

ويسعون فى اتجاه واحد ، بين هدفين فى مكان واحد ••

ويرمون عدوا واحدا •• حين يرمون الحصيات فى رمى الجمار ••

---

(١) الدين والحياة . ص ١١ عدد رقم ٧٥ .

(٢) فقه السنة للشيخ سيد سابق . الجزء الخامس . ص ٢٥٠ .

ان ذلك كله •• يولد فى النفس ، وحدة فى الشعور والعواطف• كما أن ذلك من أعظم وسائل الصهر ، وازالة الحواجز ••

ويصير المسلمون أرقى مستوى ، وأشد شعورا بالأخوة الاســـلامية ••

والركن الخامس من أركان الاسلام :

« صوم رمضان » •••

وهذا الركن •• يجمع النظافتين •• ظاهرها ، وباطنها ••

فهو فضلا عن اثارته لرغبة المؤمن الصائم ، فى استدامة الطهر ، يغسل عنه ذنوبه وخطاياه •• ويجعله نظيف القلب واللسان ••

قال تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »[1] •

فالتقوى هدف الصوم •• وهى هدف أخلاقى جليل ••

انهافى عبارة جامعة •• تعنى الانضـــباط على أوامر الله ، ومراقبته فى السر والعلن •• وعندما تمتلىء النفس بهذه الخشية فانها تتحرج من كل ذنب ، وتستحى من أى معصية •• وتعيش مع ربها فى أمره ونهيه ••

---

(١) سوارة البقرة •

وعلى هذا فالتقوى جماع الأخلاق الرفيعة ••

ولا قيمة لصيام يرتع صاحبه فى جو الزور ، والافك ، وشهوات النفس ••

ولهذا قال رسول الله : « من لم يدع قول الزور والعمل به • فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »[1] •

وقوله : « كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش »[2] •

وقوله : ليس الصيام عن الطعام والشراب •• وانما الصيام عن اللغو والرفث »[3] •

لقد فقد الصيام بارتكاب الآثام ، كل أهدافه العالية •• ومن ثم صار مجرد تعذيب للنفس ، لا ينال به الصائم ثوابا ، ولا يستحق أجرا •• وانما يناله منه الجوع والعطش ••

وكل ذلك صريح فى أن الله لا يريد أن يعذب عباده بالجوع والظمأ ، وانما يريد أن يجعل لمن الصوم مدرسة تهذب سلوكهم ، وتزكى أخلاقهم ، وتصونهم من عبث الشهوات ••

فان لم يثمر الصوم هذا فما قيمته ؟ وما ثمرته ؟

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه ابن خزيمة .
(٣) الحديث رواه ابن خزيمة . والرفث : الفحش فى القول .

فليتدبر المسلمون ذلك ليحققوا الهدف من صيامهم ..

فلا صيام حتى تصوم البطن عن الأكل ، والجوارح عن الشر، والقلوب عن الضغينة[1] .

قال الشاعر :

ما الخير صــوم يذوب الصــائمون لــه
ولا صــلاة ولا صــوف على الجســد
وانمــا هــو تــرك الشر مطرحــا
ونفضــك الصــدر من غل ومن حســد

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **« قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به .. والصيام جنة .. فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب .. فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم انى صائم »**[2] .

فالصوم ينظف القلب واللسان والسلوك .. ثم هو فى الوقت نفسه عملية تنظيف مادية عميقة .. تتم داخل البدن .. لأن اخلاء الجسد من الطعام وفضلاته .. تنظيف له من الداخل ،

---

(1) هكذا نصوم . للاستاذ توفيق محمد سبع ص ٣٦ ، ٣٧ . ط مجمع البحوث الاسلامية بالازهر . عدد رقم ٣٩ . الطاوس فى غرة رمضان ١٣٩١ هـ .
(2) الترغيب والترهيب . الجزء الثانى ص ١١ والحديث رواه البخارى ومســلم .

ويترتب على هذه النظافة المـادية للمعدة والأمعاء •• تجدد فى العـافية والصحة ••

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم ، قال : **« اغزوا تغنموا •• وصـوموا تصحوا •• وسافروا تستغنوا »**[1] •

وما أجمل أن يستفيد المسلمون من أثر الصيام ، فى قوة الروح فان قوة الروح هى السر الأعظم فى ادراك النجـاح ، وازالة المعوائق التى تعترض طريق التقدم •

وما أجمل أن يعيش المسلمون فى أفق الصحة الروحية •• حتى تبرأ أرواحهم من الأسقام والأمراض ••

فالأركان الاسلامية •• كاملة وشاملة •• صالحة لكل زمان ومكان •

ومن أبرز ما يميز منهجها ، ذلك الشمول ، والاستيعاب ••

وهى بهذا الشمول تؤكد للانسـانية فى وضوح : أن ربهـا واحد ، وأنه مالك الملك ، وهو رب العالمين ••

قال تعالى : **« الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض •• من ذا الذى يشفع**

---

(١) الترغيب والترهيب . الجزء الثانى ص ١٣ والحديث رواه الطـبرانى فى الأوسـط .

عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم »(١) .

ومن هنا ندرك الحكمة من خلق الجن والانس .. وأيضـــا ندرك الحكمة من أركان الاسلام التى فرضها الله على كل مسلم، قال تعالى : **« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون »**(٢) .

ففرائض الاسلام تخاطب كل الجوانب فى الانسانية . وتفى بكل الحاجات ، وتصحح كل الاتجاهات .

وبجانب هذه الاعتبارات .. وفوق هذه الاتجاهات .

ومن وراء كل ذلك .. نجد أن العبادات فى الاسلام تدعو الى الوحدة والجماعة ..

وليس مثل الأركان الاسلامية ، قادرا على أن يوحد بين الناس ..

وليست الوحدة فى ظل الاسلام خيالا ، أو اسرافا .. وانما هى حقيقة يمكن تحقيقها ، اذا صح عزم المسلمين ..

---

(١) سورة البقرة .
(٢) سوزة الذاريات .

أليست الأركان الخمسة فى الاسلام •• تولد التوافق والتقارب ، والانسجام بين المسلمين ؟ •

وبمقتضى التوافق والتقارب •• كانت العبادات أساسا لوحدة التفكير ، ووحدة المفاهيم الأساسية فى الحياة •

بل ووحدة القيم ، والمقاييس الخلقية ، والنظر الى الخير والشر ، والفضائل والرزائل •• وقواعد السلوك الأساسية والأصل فى العبادات •• أنها تؤدى امتثالا لله رب العالمين ، وأداء لحقه على عباده ، وشكرا لنعمائه ••

وللعبادات ثمراتها الطيبة التى تعود على المسلم •••

وللعبادات حكمها الرائعة •• وأحكامها الفاضلة ••

ولكن ليس من اللازم •• ولا من الضرورى أن يحيط الانسان بثمراتها وفوائدها •• بل ولا يستطيع ذلك •• كما لا يستطيع العقل المحدود الأفق ، أن يدرك حكمها •••

وحسب المسلم أن يعرف •• أن الله سبحانه وتعالى فرض عليه الفرائض لمصلحة الانسان نفسه ، ولما يصلح حاله ، ويعود عليه بالخير فى حياته الروحية والمادية الفردية والاجتماعية •••

ولكن هذا لا يمنع المسلم ، من أن يتلمس الحكم ، والمنافع بمقدار ما تطيقه عقول المؤمنين ••

فالصلاة تؤدي الى وحدة فى النظرة والفكرة •

ووحدة فى الغاية والوجهة ••

• ووحدة فى القول والعمل •

ووحدة فى المخبر والمظهر ••

ووحدة فى الاحساس والشعور ••

وصلاة الجماعة الى جانب مالها من قيمة فكرية •• تشير الى الأمل فى تحقيق الوحدة الاسلامية •• كحقيقة من حقائق الحياة ••

وقد ضعف الاسلام أجرها بضعا وعشرين مرة •• عندما يقف المسلم مع اخوانه المسلمين •• بين يدى الله ••

وهذا يوحى باغــراء شــديد •• للانضــواء الى الجمــاعة الاسلامية •

ونبذ العزلة ، ودفع بالمسلم الى الانسلاخ من وحدته ••

وبهذا كان الاسلام ، لا يقبل المسلم وهو منحصر فى نطاق نفسه أو أن يستوحش فى تفكيره واحساسه •••

وفى صلاة الجمعة : تعليم وتوجيه •• وتذكير وموعظة واحياء لعاطفة الأخوة ، وتجديد للطاقات الخلاقة ••

وفى فريضة الصيام نلحظ ايحاءات قوية تهدف الى توحيد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ..

وفى فريضة الزكاة نجد روافد الوحدة الاسلامية الشاملة ..

من تقريب للفوارق الاجتماعية ..

ومن تبادل لمشاعر المحبة والمودة .

من تقوية للأمة الاسلامية فى مجموعها :

وفى فريضة الحج نلمس أهداف الوحدة الاسلامية .. مناسك الحج وشعائره كلها ، توقظ فى المسلم مشاعر الأخوة الصادقة .

وحدة فى المشاعر ، ووحدة فى الشعائر .

ووحدة فى القول ، ووحدة فى العمل .

لا عنصرية ، ولا عصبية ، ولا قبلية ، ولا قومية ، ولا يمين ، ولا يسار ، ولا مذهبية ..

فالأمة الاسلامية .. تملك رصيدا ضخما .. يمكنها من التعاون المثمر ، والتفاهم الكامل ..

ليس كالاسلام نظام يستطيع أن يذيب فى بوتقته .. متاعب الانسانية ..

وليس كالاسلام لواء ينضوى تحته كل الناس ، مستظلين بظل الجامعة الاسلامية .

« لا اله الا الله » ..

ويوم يدرك المسلمون حقيقة دعوة الاسلام ..

ويوم أن يقتنع المسلمون بأن الاسلام هو المنهج الأمثل ..

ويوم أن تكون الفرائض الاسلامية عملا بناء .. لا حركات تؤدى ..

ويوم أن تكون « لا اله الا الله » المنطلق الوحيد للمسلمين ..

يومها سوف يحقق المسلمون .. نجاحا رائعا فى كل نواحى الحياة ...

الأُمَّةُ الْوَاحِدَة

الأمة الواحدة •• هى الأمة الاسلامية • فى مشارق الأرض ومغاربهــا ••

وأمة واحدة بنص القرآن الكريم •• الذى يقول فيه رب العزة

« ان هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون »[1] •

وقال تعالى : **« يايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا انى بما تعملون عليم ، وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقــون**[2] **»** •

وقال تعالى : **« كان النــاس أمة واحــدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعــد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لمــا اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم »**[3]

فالدواعى القــائمة ، على المنطق الحق ، المركزة على جــوهر الفطرة ، وحقيقة الدين •• كلها تدعو الى المحبة والجماعة •• وتمهد لهم مجتمعا متكافلا ••

---

(١) سورة الانبياء :
(٢) سورة المؤمنين :
(٣) سورة البقرة :

والله سبحانه وتعالى ، لم يخلق الناس ليختلفوا ، أو يتقاتلوا ، وانما خلقهم ليتوحدوا تحت أصل واحد ، ورب واحد ، ودين واحـــد .

وجاء فى تفسير المراغى :

« كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين »

أى خلق الله الناس أمة واحدة ، مرتبطا بعضـــها ببعض فى المعاش .. لا تعيش الا مجتمعة ، يعاون بعضها بعضا وكل واحد منهم يعيش بعمله ، لكن قواه النفسية والبدنية قاصرة عن الوفاء بجميع ما يحتاج اليه ، فلابد من انضـــمام قوى الآخرين الى قوته ، وهذا ما يعبر عنه بقولهم : « الانسان مدنى بالطبع » .

ولمـــا كانوا كذلك ، كان لابد لهم من الاختلاف ، اذ لا يمكنهم فى هذه الوحدة ، أن يتفقوا على تحديد ذلك النظام ، مع تفاوت العقول ، وحرمانهم من الالهـــام ، الذى يهدى كلا منهم ، الى ما يجب عليه لصاحبه ..

فكان من لطف الله ورحمته ، أن يرسل اليهم الرسل مبشرين بالخير والسعادة فى الدنيا والآخرة ، ومنذرين بخيبة الأمل ، وهبوط العمل ، وعذاب الله اذا اتبعوا شهواتهم ، ولم ينظروا فى العاقبـــة ..

وقال أبو مسلم الأصفهانى ، والقاضى أبو بكر الباقلانى :

ان المعنى : أن الناس كانوا أمة واحـــدة ، على سنة الفطرة

تأخذ بما يرشد اليه العقل فى الاعتقاد والعمل ، وتمييز الحسن من القبيح ، والباطل من الصحيح ، بالنظر فى المنافع والمضار ، ولكن استسلام الناس الى عقولهم ، بلا هدى الهى مما يدعو الى الاختلاف ، فكثيرا ما حالت الأوهــام بين النــاس ، وبين الوصول الى المراد من العقائد والأحكام ..

« وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم » .

أى أن الاختلاف الذى وقع من الرؤســاء ، والأحبار ، والعلماء ، وأهل النظر ، القائمين على الدين ، الحافظين له بعد الرسل ، وهم الذين أوتوه ، وأعطاهم الله الكتاب ليقــرروا ما فيه ، ويراقبوا سير العامة عليه — بعد أن **قامت الأدلة على عصــمة الكتاب ، من وصــمة اثارة الخلاف ، وأنه ما جــاء** الا لاسعاد الناس ، والتوفيق بينهم ، لا لاشقائهم وتمزيق شملهم — لم يكن مصدره الا البغى بينهم ، وتعدى الحدود التى أقامها الدين حواجز بين الناس ..

فقد يشوب طلب الحق شىء من الرغبة ، فى عزة الرياسة ، أو ميل مع أربابها ، أو شهوة خفية فى منفعة أخرى ... وهذا من البغى على حق الله فى عباده ... **أو من التعصب للرأى ،** وتأييد المذهب ، بدون رعاية للدليل ، ولا نظر الى البرهان .. وربما كان هذا مع حسن النية .. فيكون هذا مصدر شقاق وخلاف ..

وقد كان الواجب تمحيص الآراء ، ليحصل الوفاق ... لكن

هذه الجناية التي جناها الرؤساء على أنفسهم وعلى الناس ، بسبب بغيهم ، لا تقدح فى هداية الكتاب الى ما يتفق عليـه الناس من الحـق ٠ !

وقد رأينا الأديان فى بدء نشأتها ، تلم الشمل ، وتمحق أسـباب الخلاف من النفوس ، وتوجد بين معتنقيها أخـوة لا تدانيها أخوة النسب ٠٠ فكان الواحد من الصحابة يؤثر أخاه فى الدين ، بماله على نفسه ٠٠ ويبذل روحه ، فداء له ٠٠ والأخ من النسب لا يفعل شيئا من ذلك ٠٠

كان هذا أيام أن كان الدين غضا طريا ، معروفا بحقيقته لأهله ، تبينه للناس رؤساؤه ، ويمشى بنوره فيهم علماؤه ، لا خلاف ولا اعتساف ٠٠

ثم أرشد سبحانه وتعالى الى أن الايمان الصحيح ، يهدى الناس الى الحق ، ويمنع الاختلاف فقال :

« فهدى الله الذين آمنوا لمـا اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم »[1] ٠٠

وقال تعالى : « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم فيما فيه يختلفون »[2]٠

---

(١) انظر تفسير المراغى ٠ الجزء الثانى ص ١٢٢ ــ ١٢٥ ٠
(٢) سورة يونس ٠

نعم كان الناس أمة واحدة على الفطرة اذ كانوا يعيشون عيشة السذاجة والوحدة ، كأسرة واحدة •• حتى كثروا وتفرقوا فصاروا عشائر فقبائل فشعوبا ، تختلف حاجاتهم وتتعارض منافعهم ، فتتعادى وتتقاتل فى التنازع فيها ، فبعث الله فيهم النبيين والمرسلين لهدايتهم ، وازالة الاختلاف بكتاب الله ووحيه[1] •

والآية تتضمن الوعيد على اختلاف الناس المفضى الى الشقاق والعدوان ، ولا سيما الاختلاف فى كتاب الله الذى أنزله لازالة الشقاق بحكمه ••

ان الاسلام دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها •• ثم هو دين البشرية قاطبة ، عبر الزمان والمكان •• يجمعها ولا يفرقها •• ويوحدها ولا يشتتها •• بعث به كل نبى ودعا اليه كل رسول ، فمحاولة الخروج عليه أو التفلت منه بعد العلم به يعتبر جحودا وكفرانا ، ومعصية تستوجب أليم العذاب ••

قال تعالى : « ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب »[2] •

فيجب على المسلم وهو يتلو هذه الآية ، أن يتذكر أنها ما أنزلت الا هداية ، وعبرة ، لمن يؤمن بالقرآن ليتقوا الخلاف

---

(١) تفسير المنار : ج ١١ ص ٣٢٨ •

(٢) سورة آل عمران •

فى الدين ، والتفرق فيه ، الى شيع ومذاهب ، اتباعا لسنن من قبلهم[1] ..

والأمة الاسلامية بعالمية الرســالة والقرآن ورثت الدين الحق .. ومن هذا كانت خير أمة أخرجت للناس ولهذه الخيرية التى خص الله بها أمة الاسلام ينهانا رب العزة نهيا صريحا قاطعا ، عن التنازع ، والتفرق بل وعن التشبه بالمتفرقين ..

قال تعالى : **« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »**[2] .

فالله سبحانه وتعالى ، ينهى المسلمين عن التفرق والانفصام بعد الأمر بالاجتماع ، والاعتصام ، لمـا فى التفرق من زوال الوحدة .. التى هى معقد العزة ، والقوة .. وبالعزة يعتز الحق .. فيعلو فى العــالمين .. وبالقوة يحفظ هو وأهله من هجمات المواثبين ، وكيد الكائدين[3] .

وقال تعالى : « وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين »[4] .

وقال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم »[5] ..

---

(١) تفسير المنار . الجزء الثالث ص ٢٥٩ .
(٢) سورة آل عمران .
(٣) المنار ج ٤ ص ٢٠ .
(٤) سورة الأنفال .
(٥) سورة آل عمران :

جاء فى المنار : أن هذه الآية كالدليل على أنه يجب أن تكون وجهة الأمة الداعية ، الآمرة ، الناهية •• واحدة لأن الذين سبقوهم ما أفلحوا لعدم وحدتهم[1] ••

ورسول الانسانية ، محمد عليه الصلاة والسلام ، يحرص كل الحرص على سلامة الأمة الاسلامية •• وما يحفظ كيانها ووجــودها • ولهذا يوجه توجيهــاته الرشــيدة •• ليتحقق النهوض ، والقوة المرهوبة ••

قال عليه الصلاة والسلام : « **اثنان خير من واحد ، وثلاثة خير من اثنين ، وأربعة خير من ثلاثة •• فعليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ، ولم يجمع الله ــ عز وجل ــ أمتى الا على هدى ، واعلموا أن كل شاطن هوىً فى النار** »[2] •

فالوحدة للأمة الاسلامية •• صمام أمن •• وسياج سلام •• وقوة لا تدانيهــا قوة ، فى شد الأعصاب ، وشحن الدمــاء ، بالتضحية والفــداء ••

يقول رسول الأمة صلوات الله وسلامه عليه : « **لا يجمع الله عز وجل أمر أمتى على ضلالة أبداً •• اتبعوا الســواد الأعظم يد الله على الجماعة ، من شذ شذ فى النار** »[3] •

---

(١) المنار . جـ ٤ ص ٤٨ .
(٢) كنز العمال جـ ١ ص ١٨٤ والحديث رواه ابن عســاكر . عن ابى هريرة •••
(٣) كنز العمال . جـ ١ ص ١٨٤ والحــديث رواه الحاكم وابن جرير والحكيم .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ، فان الشيطان مع الواحد ، وهو مع الأثنين أبعـــد »[1] .

وقال عليه الصلاة والسلام : « **من عمل لله فى الجمـــاعة فأصاب ، قبل الله تعالى منه .. وان أخطأ غفر الله له ، ومن يبتغى الفرقة فأصاب لم يتقبل الله منه ، وان اخطأ فليتبوأ مقعده من النـــار** »[2] .

وهكذا تتضافر آيات القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الأمين . فى الحث على الجماعة الاسلامية .. حرصا على الأمة من التفرق ، وخوفا من الشقاق ..

لأن قانون الحياة المطرد أن الاتحاد قوة والتفرق ضعف . وتلك سنة الله .. لا تتغير ولا تتبدل ..

والتاريخ الانسانى كله شاهد على صدق هـــذا القانون ،

فاذا تصفحنا التاريخ الانسانى ، واستقرأنا أحوال الشعوب. فى وجودها وفنائها .. لتبين لنا أن سنة الله تعالى قاضية ، بأن يكون حظ الأمة من القوة والوجود ، على مقـــدار حظها من الوحدة ..

---

(١) كنز العمال . جـ ١ ص ١٨٥ والحـــديث رواه الديلمى عن ابن عمر .

(٢) كنز العمال . جـ ١ ص ١٨٥ والحديث رواه الطبرانى عن ابن عباس .

وما أهلك الله أمة الا بعد ما رزئت بالافتراق ، وابتليت بالشـــقاق ..

واذا انتقلنا الى صفحات التاريخ الاسلامى .. وجدنا أنه كلما اتحد المسلمون .. كلما زادت قوتهم ، فانتصروا ، وعزوا ، وســـادوا ..

وكلما تفرقوا ، وتنازعوا ، كلما فشلوا وذلوا ...

وفى السنة الثالثة من هجرة الرسول الأمين ، صلوات الله وسلامه عليه ، **وقعت غزوة أحد** بين المسلمين ، وبين المشركين .

وكان النصر فى بداية المعركة للمسلمين ، حتى اذ أوشكت أن تنتهى بنصر جاسم للمسلمين ، وهزيمة ساحقة كاســـحة للمشركين .. وقعت فى صفوف المسلمين أمور ... كان أبرزها : أنهم اختلفوا وتنازعوا .. فماذا كانت النتيجة ؟

منى المسلمون بهزيمة كبيرة أفقدتهم سبعين بطلا من خيرة الرجـــال ..

وقد يسأل الكثير .. لماذا يصاب المسلمون بكل هذا ؟ . والجواب المقنع الواضح ، يجىء فى قوله تعالى : « **ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه ، حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الأمر ، وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد**

الدنيا ، ومنكم من يريد الآخرة ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين »[1] .

فالتنازع فى الأمر ، والاختلاف ، كان أحد الأسباب الرئيسية فى هزيمة المسلمين ، فى معركة أحد .. ولكن القرآن الكريم ، يبين للمسلمين فى وضوح .. أن ذلك لا يمكن أن يكون سببا للانصراف عن الدعوة الاسلامية .. ولهذا يعطى المسلمين شحنة قوية .. تملأ القلوب المؤمنة . قوة ومضاء ..

قال تعالى : « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين » ..

« ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »[2] .

وفى سنة ٤٩٠ ه قام الأوربيون بهجوم على الأمة ، فى أرض الشام ..

---

(١) سورة آل عمران :
(٢) سورة آل عمران :

وانتصر الأوربيون فى هذا الهجوم ، وانتزعوا الكثير من مدن الأمة الاسلامية ••**واسسوا بها أربع امارات هى :** الرها ، **وانطاكية ، وبيت المقدس** ، وطرابلس •• وعندما نبحث فى الأسباب التى جعلت الأوربيين ينتصرون على المسلمين ••

نجد أن منهـــا :

أولا : انقسام دولة السلاجقة عقب موت السلطان ملكشاه ••

ثانيا : تفكك وحدة الأمة الاسلامية ••

ثالثا : اختفاء الزعامة الاسلامية القوية ••

هذا فى الوقت الذى اتحدت فيه أوربا لأول مرة ، على حين كان المسلمون اذ ذاك منقسمين على أنفسهم •• ولكن حدث ، أن بدأت روح الأمة الاسلامية تدب من جديد ••

وقام المسئولون فى العالم الاســـلامى ، يعملون على جمع الصفوف وسرعان ما اجتمعت النفوس على الجهاد ••

وقاد حركة الجهاد القائد الاسلامى ، صلاح الدين الأيوبى الذى جمع الشام ومصر ، وأوقع الأوربيين بين قوات اسلامية من كل جانب ••

وكانت هذه الوحدة الاسلامية هى السبب المباشر فى انتصار المسلمين بقيادة البطل **صـــلاح الدين الأيوبى** على الأوربيين فى موقعة « **حطين** » ســـنة ١١٩٢ م والأمثلة من التـــاريخ

الاسلامى ، كثيرة •• وكلها تشهد بانتصار المسلمين ، حين تتوحد صفوفهم ، وتجتمع كلمتهم •• ونحن نعرف أن المسلمين نكسوا سنة ١٩٦٧ م وأصيبوا بهزيمة منكرة •• أمام عصابات الصهيونية الغادرة •

واذا أردت أن تفتش عن أسباب الهزيمة ••• وجدت أنها :

أولا : نتيجة للتفرق الذى منى به المسلمون ••

ثانيا : عدم التخطيط المركز ، والقائم على الايمان ••

ثالثا : الاستهتار بالقيم الاسلامية ••

وفى العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣ هـ ، قام الجيش الاسلامى فى مصر العربية ، بمفاجأة أفقدت العدو صوابه ، وأذهلت تفكير الأصــدقاء •••

وذلك أن الجيش المصرى ، عبر وفى ظروف عصيبة وصعبة أعظم مانع طبيعى وهو قناة السويس ••

وأكبر وأضخم مانع صناعى وهو خط بارليف ••

وأثبت المصريون فى قوة أنهم أهل لتحمل المسئولية ، وبهذا تحطمت أسطورة : الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر ••

واذا ذهبت تفتش عن أسباب وعوامل النصر التى حظى بها جيش مصر الاسلامية ••

وجدت أنهـــا :

أولا : الوحدة الرائعة التى تجلت فى القيادة .

ثانيا : التخطيط الدقيق ، والمحكم ..

ثالثا : وقوف الأمة الاسلامية كلها وراء مصر .

رابعا : عودة الجيش الى التمسك بالقيم الاسلامية والهتاف بالشعارات الاسلامية ..

ومن هذا نعرف أن :

الوحدة تعنى القوة التى تؤدى الى الانتصار ..

وأن الفرقة تعنى الضعف الذى يؤدى الى الهزيمة والبوار .

فمتى يدرك المسلمون قيمة أنفسهم فى الحياة ؟

ومتى تعرف الأمة الاسلامية مسئوليتها ؟

ومتى يعى العالم الاسلامى حقيقة رسالته ؟

ومتى يفهم أبناء الأمة أمجادهم التاريخية ؟

ومتى تجتمع الأمة على كلمة الحق ... ؟

ومتى نستيقظ من رقدرتنا . لنعى حركة الدنيا ؟

ان كل ذلك قريب ... ويبدو أن العالم الاسلامى فى وضع أفضـــل .. وذلك بفضل ايمـــان المسئولين بحق الشـــعوب الاسلامية ...

المُسْلِمُونَ وَالنَّصَـارَى

قال تعالى : « ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز ، الذين ان مكناهم فى الأرض ، اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور »[1] ..

وقال تعالى : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »[2]

آيتان من القرآن الكريم ، تبينان فى وضوح ، وتصوير فنى رائع ، أن النصر من عند الله سبحانه وتعالى ... والنصر على الأعداء ليس سهلا ، ولا منحة تهبط من السماء .. وانما يحتاج الى أسباب ... وعوامل ... لابد من توافرها ..

أولا : الايمان الذى يملأ القلوب .. فيحرسها من الفرار ، أو التولى ..

ثانيا : يكون العمل خالصا لله ، ومن أجل العقيدة ، وكرامة المسلمين ..

ثالثا : اجتماع المسلمين فى جامعة اسلامية ، تتضاءل أمامها عوامل الفرقة والاختلاف .

---

(١) سورة الحج .

(٢) سورة محمد .

وهذا يفهم من قوله « **ان تنصروا الله ينصركم** » فالتوجيه الى الجماعة والأمة الاسلامية .

رابعا : اعداد العدة ، بما يتفق مع منطق كل عصر ، وروح كل زمن .. والمنطق المعتمد هو القوة .. ولهـذا كان الأمر للمسلمين فى كل عصر هو اعداد القوة .. بلا تهاون ، ولا تكاسل، ولا تواكل ..

قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيـل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخـرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون »[1] .

ومن الواضح أن كلمة **قوة** فى هذه الآية ، جاءت فكرة عامة ، أتدرى لمـا ذلك ؟

لتشمل اعداد القوة بما يتناسب مع التقدم العلمى ، فى كل مجالات الحياة ..

وتفيد الآية أن اعداد القوة .. هو ما يتفق مع استطاعة الأمة الاسلامية ..

فلا يستساغ أن ينتظر المسلمون ريثما يتم اعداد قوة تكافىء قوة العدو .. لأن ذلك قد يطول ...

---

(١) سورة الأنفال .

وقد خطب عبد الله بن رواحة ، فى جنده ، يشجعهم على لقاء العدو حينما فزعوا ، من كثرة عدده وعدده ، فى غزوة مؤتة ، فقال :

« يا قوم ان التى تكرهونها لهى الشـــهادة ، التى خرجتم تطلبونها ، والله ما كنا نقاتل الناس ، بكثرة عدد ، ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول ، ما نقاتلهم الا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به .

انطلقوا .. فوالله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا الا فرسان .. ويوم أحد ما معنا الا فرس واحد ..

انطلقوا فانما هى احدى الحسنيين ..

اما ظهور عليهم فذلك ما وعدنا الله ورسوله ، وليس لوعده خلف ..

واما الشهادة فنلحق بالاخوان ، نرافقهم فى الجنان[1] .

وروى الواقدى ، عن أبى هريرة قال :

« شهدت يوم مؤتة ، فلما دنا المشركون منا رأينا مالا قبل لأحد به من العدة ، والسلاح ، والكراع ، والحرير ، والديباج ، والذهب ..

---

(1) انظر صور من حياة الرسول : ص ٥١٧ .

فبرق بصرى .

فقال لى ثابت بن أرقم : يا أبا هريرة : كأنك ترى جموعا كثيرة ؟

قلت : نعــم .

قال : انك لم تشهد بدرا معنا .. انا لم ننتصر بالكثرة[1] .

وكان العلاء بن الحضرمي قائدا لجيش المسلمين الذى وجهه أبو بكر الى البحرين فى حروب الردة ..

وسلك القائد بالجيش ، طريق الصحراء ، الى غايته ... فلما جن الليل أمر الناس بالنزول ، حتى لا يضــلوا فى تيه الصحراء ، فلما نزلوا نفرت ابلهم ، وتفرقت فى الصحراء ، بما عليها من الزاد والماء .. ولم يجد الجند ما يقتاتون به .. أو يطفئون ظمأهم ...

هنالك ركبهم من الهم ماركبهم ..

وأيقنوا الموت ..

فأوصى بعضهم الى بعض ..

وتحدث العلاء القائد اليهم ، فقال : ما هذا الذى ظهر فيكم وغلب عليــكم ؟

---

(١) راجع صور من حياة الرسول : ص ٥١٦ .

وأجاب الناس : كيف نلام ، ونحن ان بلغنا غدا لم تحم شمسه ، حتى نصير حصيرا ..

ورد عليهم العلاء .. ممتلىء القلب ايمانا :

أيها الناس : لا تراعوا .. ألستم مسلمين ؟

ألستم فى سبيل الله ؟

ألستم أنصار الله ؟

قالوا : بلى .

قال : فأبشروا ، فوالله : لا يخذل الله من كان فى مثل حالكم . وبعد أن صلوا الفجر .. نصبوا فى الدعاء ، حتى اذا بزغت الشمس .. لمع لهم سراب .. ثم آخر ، ثم ثالث .. قال رائدهم انه الماء .. فمشوا حتى نزلوا عليه فشربوا ، واغتسلوا ، ونالوا منه ما شاءوا ... وتعالى النهار ، فاذا ابلهم تعود اليهم من كل صوب وتبرك ، فقام كل رجل الى رحله فركبه[1] ..

والأمثلة من واقع صفحات التاريخ الاسلامى كثيرة ..

وكلها تشهد لجنود الجيش الاسلامى بالصدق والايمان . فما كانوا يرهبون الردى ..

---

(١) انظر أبو بكر .. للدكتور محمد حسين هيكل : ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

يقدمون غير هيابين ، ولا وجلين ..

على حد القائل :

ولست أبالى حين أقتـــل مســـلما
على أى جنب كان فى الله مصرعى

فلم ينظروا الى كثرة جنود الأعداء ..

ولم يعرفوا كم أعد الأعداء من العدد ..

وفى الوقت نفسه .. كان لهم من ايمانهم بالله .. وثقتهم فى النصر .. كان لهم من ذلك ، ما يدفعهم الى الاقدام .. وهم على حد قول الفيلسوف محمد اقبال الشاعر الباكستانى :

كنا جبـــالا فى الجبـــال وربما
سرنا على موج البحار بحـــارا
كنا نقـــدم للسيوف صـــدورنا
لم نخش يوما غاشما جبـــارا
بمعـــابد الافرنج كان آذاننـــا
قبـــل الكتائب يفتح الأمصـــارا
لم تنس افريقيا ولا صحراؤها
سجداتنا والأرض تقـــذف نارا
وكأن ظل الســـيف ظل حديقـــة
تنبت من حولنـــا الأزهـــارا

وأمتنا الاسلامية فى أشد ما تكون •• الى بطولة الأبطال •• وحزم الرجـــال ••

ان أمتنا فى حاجة الى جيش اسلامى •• يعد اعدادا اسلاميا خاصـــا •••

وبهذا يمكن أن نتصدى لكل محاولات الأعداء •• حتى ولو كانت من الداخل ••

وما أكثر محاولات الأعداء •••

فالأحزاب البعيدة عن الاسلام ، والتى تحكم بعض شعوب البلاد الاسلامية •• يمكن أن تشكل خطرا جسيما •• وبخاصـــة بعد تحالفها مع الأحزاب الشيوعية •••

والأنظمة المستبدة يمكن أن تشكل خطرا •••

والأفكار المستوردة يمكن أن تكون أشد خطرا •• وهناك من الفوضويين والمتمردين •• والوصوليين •• ما يسىء الى البلاد الاســـلامية ••

ولهذا ، وغير هذا •• كان على الأمة الاســـلامية أن تفكر جديا ، فى أمر البلاد الاسلامية ، وانقاذ شعوبها من قســـوة الأحزاب المستبدة ، والأفكار الحمراء ••

ان الشعوب تئن وتتوجع •• ولا يصح أن نرى المد الاسلامى ينحسر •• ونقف مكتوفى الأيدى •• أو نزيد من الحوقلة •• أو نقف موقف اللامبالين ••

ان شئون المسلمين •• تنادى المسلمين :

أين مكانكم •• وأين أنتم ؟

ومتى تبدأون فى العمل ؟

ومتى يتحقق الأمل ؟

قال تعالى : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله • أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم »[1] •

---

(١) سورة التوبة

دَوافِع إسلامِيَّة

الاسلام الحنيف •• جاء بحوافز مادية وأدبية •• من شأنها أن تأخذ بالانسان المسلم •• الى طريق الحق •• والصراط السـوى **« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه »** •

لأن الله سبحانه وتعالى •• شرع الاسلام ، وجعل منه نظاما ، يكفل سعادة الفرد والجماعة •• فى الدنيا وفى الآخرة • فلم يترك عنصرا من عناصر الخير والصلاح •• الا أمر به ، ودعا اليه ، وحث عليه •• ولم يترك عنصرا من عناصر الشر ، والفساد الا نهى عنه وحذر منه •• ونفر عنه ••

وذلك لأن الاسلام •• بنى تنظيمه على الواقع •• وهو أن الانسان : جسم •• وروح ••

وكل ما جاء به الاسلام ، من عقائد ، وعبادات ، وآداب ، وتشريعات •• لا تخرج عن دائرة رعاية حق الجسم وحفظ الروح ••

ولهذا وضع الاسلام •• حوافز مادية ، وأدبيـة ، تدفع الانسان الى العمل الجاد •• ليعيش كريما •• يؤدى رسالته فى الحياة ، ويساهم فى بناء المجتمع الاسلامى الواسع ••

والحوافز فى الاسلام كثيرة •• ولكن نخص منها بالذكر ثلاثة لأن الباقى يرجع اليها •• والثلاثة التى سنذكرها تعد أهم الحوافز الدافعة بالمسلم الى التحرك والفاعلية ••

وأول الثلاثة : نعم الله سبحانه وتعالى •• فهى حافز بناء فى تذكير الانسان ••

وثانيها : العبادات •• فقد اقترنت بالحوافز •• للحث على أدائهـــا ••

وثالثها : **الأعمال الصالحة** •••• وهى حافز من الحوافز التى تخلق المؤمن الكامل ••

اما نعم الله سبحانه وتعالى ، فلا يحصيها عد ••• فالله تعالى هو الذى أنشأ الخلق من العدم •• وتولى رعاية الانسان فى أطوار مختلفة •• وقف أمامها العلم مذهولا •

قال تعالى : « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين »[1] •

وقال تعالى : « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون »[2]•

وقال تعالى : « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل

---

(١) سورة المؤمنين :
(٢) سورة النحل :

أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرءوف رحيم • والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون »[1] •

وقال تعالى : « فلينظر الانسان الى طعامه أنا صببنا الماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولأنعامكم »[2] •

وقال تعالى : « ألم تر أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة »[3] •

فالانسان فى نظر الاسلام •• أكرم الكائنات على الله سبحانه وتعالى ••

خلقه فى أحسن تقويم •• وتولاه بالالهام والتعليم •• ورزقه بالعقل الكريم ، والقلب السليم ••

وأعده رب العزة لشرف الخلافة فى الأرض •• فقال تعالى : **« انى جاعل فى الأرض خليفة »[4] •**

ولهذا منحه الله •• من شرف الروح •• ما تقصر دونه الخواطر •• وتعيى عن ادراكه المدارك ••

---

(١) سورة النحل .
(٢) سورة عبس .
(٣) سورة لقمان .
(٤) سورة البقرة .

وبمنحة الروح •• امتاز الانسان عن سائر المخلوقات •• وصار الانسان عالما وحده •• فى امكانه استخدام الكائنات وتسخيرها ••

وقد أمد الله الانسان بما يناسب مصالحه فى الحياة •• ووطأ له أكناف الكائنات ••

ومن هنا كان لحوافز النعم ، أثرها الفعال ، فى تربية المسلم تربية تليق بانسانيته ، واحساسه ، وعقله ••

قال تعالى : « مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم »[1] ••

وعن أنس رضى الله عنه ، قال : انطلق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وأصحابه •• حتى سبقوا المشركين الى بدر •• وجاء المشركون ••

فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، : « لا يقدمن أحد منكم حتى أكون أنا دونه » •

فدنا المشركون ••

فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : « قوموا الى جنة عرضها السموات والأرض » •

---

(١) سورة محمد .

يقول عمرو بن الحمام الانصارى : « يا رسول الله جنـــة عرضها السموات والأرض ؟

قال : نعـــم ..

قال : بخ .. بخ ..

فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : ما يحملك على قولك بخ .. بخ ..

قال : لا والله يا رسول الله ، الا رجاء أن أكون من أهلها ..

قال : فانك من أهلها ..

فأخرج تمرات من قرنه .. فجعل يأكل منهن .. ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه . انها لحياة طويلة .

فرمى بما كان معه من التمر .. ثم قاتلهم حتى قتل »[1] .

وقال تعالى : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون »[2] .

وقال تعالى : « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى

---

(١) الحديث رواه مسلم . والقرن ــ بفتح القـــاف والراء ــ ــ جعبة النشاب . جراب السهام .
(٢) سورة الأنعام .

هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم »[1] .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فيما يرويه عن ربه ، تبارك وتعالى ، قال : « ان الله تعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك ، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان هم بها فعملها كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى أضعاف كثيرة ، وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وان هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة »[2] .

وأنت ترى من هذا كله .. أن نصوص القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الأمين .. قد تضافرت فى بيان الحوافز التى تدفع بالمسلمين الى فعل الخير ، واكتساب الشرف ... وما أجدر المسلم أن يتأمل نعم الله التى لا يحصيها عد .. وتذكر نعم الله .. حافز بناء .. ومورد عطاء .. وحقل ملىء بالأثمار ...

أما العبادات فى الاسلام .. فانها على تنوعها فى اتجاهاتها ، تدور حول دفع المسلم الى السمو فى ملكوت الله وتتكفل له بالتنبيه الدائم ، والتذكير المستمر ...

فالصلوات الخمس التى فرضها الله على المسلمين فى كل يوم .. هى من أعظم أساليب تربية النفس والخلق .. ومن أبدع مكونات الضمير ..

---

(١) سورة فصلت .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

والزكاة التى جعلها الله ركنا من أركان الاسلام ، وقرن ذكرها بذكر الصلاة ، فى أكثر الآيات •• تحمل فى موضوع التربية ، والتنقية ، والتزكية •• أسرارا دقيقة •• وحكما بالغة• فيها تربية للضمير •• وتعديلا لطبيعة الانسان •• وتحويلا لغريزة حب الظهور •• وفوق هذا فيها ما فيها •• من التراحم والاخلاص لله •• وبجانب هذا فيها علاج عملى بعيد الغاية لضعف النفس وتحصينها من أدواء الشح والأثرة •• ووراء كل هذا •• فالزكاة مبدأ اسلامى رائع ، تتضاءل أمامه ، كل الأنظمة والمذاهب •• التى يدعى مختلقوها أنها تسوى بين الناس •• وتكفل لهم الحياة السعيدة ••

وصيام شهر رمضان •• يعود المسلم على الصبر •• ويمرنه على كبح جماح الغرائز •• كما أن فيه تمكينا لخلق الأمانة ، واستحضارا للرقابة الالهية ••

ويربى الارادة فى الانسان على المقاومة والصمود ، وارهاف الحس والمشـــاعر ••

ويدرب المســلم على ضبط النفس وتفــوق دوافع النفس فى مغالبة الشهوة •• والانتصار عليها ••

والحج فريضة اسلامية ••• تخلق فى المسلم الطاقات البناءة، والروح الانسانية •• والمبادىء الاجتماعية ••

« وعبـــادات الاسلام قد امتازت بميزة لا نظــير لها •• فالعبادات الاســـلامية كلها تكليف لضمير الانســـان وحده •• لا يتوقف على توسيط هيكل أو تقرب كهانة ••

يصلى المسلم حيث أدركه موعد الصلاة •• ويصوم ويفطر فى داره •• أو موطن عمله •• ويحج فيذهب الى بيت الله »[1].

والاسلام ارتفع بنشاط الانسان ، فى مختلف مجـالاته الى مستوى القربات التى يتقرب بها الى الله ويثيب عليها •• حتى ما يقضى به الانسان وطرا ويشبع لذة[2] .

« روى أبو ذر رضى الله عنه •• ان ناسا من أصحاب رسول الله ، ـ صلى الله عليه وسلم ـ قالوا للنبى ، صلوات الله عليه •• يا رسول الله •• ذهب أهل الدثور[3] بالأجـور ، يصلون كما نصلى ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضل أموالهم •• قال الرسول : أوليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون بـه ؟

ان بكل تسبيحة صدقة ••
وبكل تكبيرة صدقة ••
وبكل تحميدة صَدقة ••
وبكل تهليلة صدقة ••
وأمر بمعروف صدقة ••
ونهى عن منكر صدقة ••
وفى بضع أحدكم صدقة ••

قالوا : يا رسول الله •• أياتى أحدنا شهوته •• ويكون له فيها أجر ؟

---

(1) حقائق الاسلام وأباطيل خصومه . العقاد . ص ١١٢ .
(2) الاسلام دين المجتمع الفاضل . للدكتور الشال . ص ٩٨
(3) الدثور : الأموال والثروات .

قال الرسول : أرأيتم لو وضعها فى حرام ، أكان عليه وزر .. فكذلك اذا وضعها فى الحلال ، كان له أجر »[1] .

واننا نجد .. أنه بجانب الفرائض الاسلامية .. أجرى الله سبحانه وتعالى ، الى النفس روافد تهيىء لها معطيات ايجابية ، وبواعث المقاومة ، وقوة الصمود ...

وتلتقى الروافد المتعددة .. على ما تلتقى عليه الفرائض من ايمـان بالعقيدة .. يوقن معه المسلم أنه صاحب رسـالة فى الحيـاة ...

أما الأعمال الصالحة فى الاسلام .. فلهـا من الحوافز ، ما يصونها من الجمود .. ويدفعها الى الاستمرار ... ليتم بناء المجتمع السليم ..

قال تعالى : « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثىٰ وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا »[2] .

وقال تعالى : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينـه حياة طيبـة ولنجزينهم أجـرهم بأحسن ما كانوا يعملون »[3] .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : « من سره أن يبسط له فى رزقه وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه »[4] .

---

(1) الأربعين النووية ص ١٦٨ .
(2) سورة النساء .
(3) سورة النحل .
(4) رواه البخارى ومسلم ..

فالمؤمن فى ظل العقيدة الاسلامية •• يستطيع أن يتكيف مع الأحداث •• حلوها ومرها •• ويجد فى هذا التكيف سكينة النفس •• واطمئنان القلب ••

والعقيدة الاسلامية •• لها من الحوافز التربوية •• ما يوجه الانسان فى الحياة •• ويضمن له استمرار النجاح •• وهذا هو سر تلك الهمم العالية •• والعزمات القوية •• التى ساقت أصحاب العقائد ، الى جلائل الأعمال ••

والمسلمون المعتزون بعقيدة التوحيد •• يستثمرون الطبيعة••

ويستفيدون بنعم الله ويتكيفون مع الحياة ، ايمانا منهم بأنهم شعاع من نور الكمال ••

وايمانا منهم بأنهم أصحاب رسالة فى الحياة ••

وايمانا منهم بأنهم خلقوا للعمل الجاد ، ومحاربة الالحاد والفساد ••

مطابع الاهرام التجارية
رقم الايداع بدار الكتب
١٩٧٤/٤٠٠٣